آراء وافكار

كتاب الاكليل للهمداني

ليس فيمن كتبوا عن جزيرة العرب وخططها وجغرافيتها وممالكها ومسالكها من يفضل ابا محمد الحسن بن احمد بن يعقوب بن يوسف الهمداني (بالدال المهملة نسبة الى همدان) فهو صاحب كتاب « صفة جزيرة العرب » الطائر الصيت المنقطع النظير في بابه وصاحب كتاب « الاكليل » المشهور ايضاً والذي نتحسر الناس عليه ولا تظفر به .

وقد كنت في القسطنطينية منذ خمس سنوات فجمعتني الأقدار بحضرة الصديق الشريف علي بن عمر بن هزاع من ابناء عم الملك حسين بن علي وهو أقرب أبناء أعمامه اليه من أشراف مكة . ولما كان الشريف علي بن عمر من الضاربين بسهم في الأدب والمولعين بالاطلاع تذاكرت واياه امر الكتب العربية في الاستانة فقال لي انه اطلع في خزانة جامع بايزيد على كتاب الاكليل للهمداني .

ولما كان هذا السفر نادر الوجود عزمت ان اذهب مرة مع حضرة الشريف الى خزانة كتب بايزيد حتى نطلع على الاكليل ثم جدّت امور عدتنا عن هذا الامر . وبرحتُ الاستانة على ظن اني راجع اليها فلم يقدر لي الرجوع اليها وفاتني النظر الى كتاب الاكليل .

ثم قرأت في كلام لسعادة الاخ العلامة شيخ العروبة وفيلسوف الآثار والصحف المكتوبة احمد زكي باشا أمتع الله بطول حياته ان كتاب الاكليل مفقود وانهم بحثوا عنه كثيراً فلم يجدوه حتى هذه الساعة .

فكتبت الى احمد زكي باشا أذكر له ما رواه لي الشريف علي بن عمر . فجاوبني بانه لا يظن ذلك او قد يكون وقع سوء فهم في المسألة .

والاستاذ احمد زكي باشا يعرف خزائن الاستانة وقد كان طوّف فيها ونقّب ونسخ واستنسخ وصوّر بالفوتوغرافيا وقيّد واودع ما اودع في كناشاته .

فكتبت في العام الماضي الى الاخ الاجل الافضل خالد بك القرقني من عيون أعيان طرابلس الغرب اذ كان في الاستانة واخبرته بالقصة ورجوته ان يقتصّ لي أثر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا الكتاب في خزائن الاستانة مبتدئاً ببايزيد حيث كان الشريف علي بن عمر بن هزاع قال لي انه عثر على الاكليل . فجاءني من خالد بك الجواب الآتي أنقله بالحرف :

« ا.س (٢٥ مارت سنة ١٩٢٩) مضيت الى مكتبة بايزيد وكان مديرها وجيهنة أخبارها غائباً فانتظرته مدة ثلاث ساعات تصفحت خلالها كل الفهرست العائد للكتب العربية ولم أعثر على الاكليل فعند مجيء المدير راجعته فأفادني بما يأتي :

« مسأله ده يالان يوق يا كلش واردر » نعم ان حضرة الشريف علي بن عمر اطلع على جزء واحد من هذا الكتاب (وهو الجزء السابع اوالثامن) عند المرحوم شيخ الاسلام حسني افندي قبل خمسة عشر عاماً تقريباً وبعد وفاته اشتراه خالص بك وبعد وفاة هذا الاخير اشترت كتبه مكتبة بايزيد ومن ضمنها هذا الكتاب . وكان بها الى مدة قريبة اذ أمرت حكومة انقرة بنقل هذه الكتب الى مكتبة دار الفنون فهو الآن هناك . وقد توجد النسخة عينها بمكتبة علي اميري افندي والمحتمل ان تكون الأجزاء الاخرى من الاكليل بايطالية من جملة الكتب التي جلبها (غريفيني) من اليمن » .

« وسأوافيك بذيل الخبر بعد اطلاعي على الجزءين ان شاء الله » .

ثم جاءني من الاخ المشاراليه كتاب تال بتاريخ اليوم التالي اي ٢٦ مارت من تلك السنة يقول فيه :

« وُفقت للاطلاع على كتاب الاكليل لابي محمد الحسن بن يعقوب الهمداني بمكتبة دار الفنون تحت نمرة ٦٢٤٢ من كتب خالص افندي في قسم التاريخ منها وذلك بعد فحص طويل ومراجعة مكتبة بايزيد مرة أخرى .

تصفحت اكثره فوجدته عائداً لأحوال اليمن والتعريف ببلدانها الخاربة وبيان ما وجدوا في مقابرها المنسية من اللؤلؤ والحجارة الكريمة وغيرها من الذخائر . وليس به تاريخ البتة ولا اسم ناسخه ولا فيه مقدمة . بل يستمر في عبارته كما سترى . وهذا يدل على كونه تابعاً لما قبله . يبتديء بعد البسملة (ليس الا) هكذا :

وعن الشرفي عن محمد بن خالد بن عبد الله القسري قال كنت مع مروان بن محمد فهدم ناحية من تدمر فاذا اساس الحائط رخام طويل فاجتمع قوم فقلبوا الطبق وظن مروان أن فيه كنزاً الخ » ويداوم على هذا النمط في حكاياته عن المدن الغامرة ومانقلته

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الرواة عن المقابر القديمة التي تشبه قبور الفراعنة . وقد يذكر عدة بلدان وقصور كانت مشيدة عامرة وبعدها خربت مثل «ناعط» و «غمدان» و «قصر الذيل» و «قصر سحار» و «بينون» و «ظفار» الخ و يصف كلاً منها و يستشهد بابيات قيلت في حقها مثل :

وقد كان في بينون عزٌ وسؤدد وفي ناعطٍ ملكٌ قديمٌ ومفخرُ

ومثل :

وأسأل بينون وحيطانها قد نطقت بالدر والجوهر

(ارى الشطر الاول هكذا غير مستقيم الوزن ولعل هذا من النساخ)

ومثل :

أبعد غمدان لا عينٌ ولا أثرٌ أبعد بينون يبني الناس بنيانا

وتجد المؤلف بعد نقله لبعض الاخبار المبالغ فيها ينتقد ذلك الكلام و يرجع لتحليل الاشياء وتحكيم العقل والذوق السليم فيها على طريقة ابن خلدون المعلومة . وفي الكتاب عدة قصائد مطولة واشعار بعضها متينة الاسلوب والبناء و يوجد كثير من روايات واشعار وقصائد رجل يقال له علقمة بن ذي الأحدب الاصغر ونسبه هكذا : (من ولد علقمة ذي الاحدب الاكبر بن الحارث بن زيد بن الغوث بن سعد بن شرحبيل بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة بن سبأ الحميري) .

واهم هذه القصائد مرثية يقال انها احدى المراثي السبع . منها :

لكل حبيب ما انحنى مضطجع والموت لا ينفع فيه الجزع
والنفس لا يحزنك انلافها ليس لها من يومها مرتجع
والموت ليس له دافعٌ اذا حميم عن حميم دفع

(اوزان مختلفة) وقد تكلم الهمداني عن كتابات موجودة باخط الحميري وذكر حروف المسند ورسم أشكالها . و بحثه مفيد جداً . ونسخ صورة كتابة وجدت بجامع صنعا بهذا الخط .

والكتاب يتم وفي آخره قصيدة طويلة جداً للقاضي العالم علي بن احمد العوسجي الحياري . وهي تسمى بذات الاصول جواباً للامير عز الدين محمد بن امير المؤمنين المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان رحمه الله تعالى . أولها :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نفى طيبَ النوم الامى المتأوّبُ ووجدٌ مقيمٌ في الحشى ليس يذهبُ
عشية ودّعت الاحبة للنوى و بانوا وحبّات القلوب تأوّبُ

وآخرها :

حميتُ به أحساب قومي ولم ازل أدافع عن اعراضهم وأذبّب
اذا امتهنت اعراض قومٍ اذلّةٍ فاني عليهم مُشفقٌ متحدّبُ
ومازال من قومي عروشٌ مصونةٌ وبكرٌ تبذّ القائلين وثيّبُ
اذا رويت كادت من الغيظ انفسٌ تغص وكاد الحلم عنهن يعزب

وقد تجد التنقيط ناقصاً في اكثر الكتاب . وتجد غلطات من الناسخ .

وبعد هذه القصيدة يتم الكتاب بجملة « تم هذا الكتاب » وليس هناك تاريخ ولا شيء آخر كما ذكرت لك آنفاً .

ثم اني مشيت الى مكتبة المرحوم علي أميري افندي لأطلع على النسخة التي هناك من الاكليل وأعرف هل هي عين هذه ام لا فقال لي خازنها انه يعلم وجود كتاب الاكليل بها ولكن فهرست الكتب العربية ارسلت الى المجلد ولا تعود الا بعد اسبوع والخازن لا يمكنه ان يهتدي الى الكتاب الا بعد الاطلاع على النمرة . وأفادني ايضاً انه سمع من المرحوم علي اميري افندي ان لهذا الكتاب أجزاء أخرى في اليمن وقد اجتهد في اقتنائها فلم يوفق .

سأرجع بعد اسبوع للاطلاع عليه ان شاء الله وافيدك » . انتهى كلام السيد خالد القرقني .

قلت فأما كتاب « صفة جزيرة العرب » للمؤلف المذكور فلم نطلع منه الا على الجزء الثاني مطبوعاً في مدينة «ليدن» بمطبع بريل سنة ١٨٨٤ وليست لهذا الجزء مقدمة بل اوله هكذا : بعد البسملة : « معرفة أفضل البلاد المعمورة . افضل البلاد المعمورة من شق الارض الشمالي الى الجزيرة الكبرى وهي الجزيرة التي يسميها بطليموس ما رُوي تقطع على اربعة أقاليم من عمران الشمال الى الخامس فجنوبيها اليمن وشماليها الشام وغربيها شرم أيلة وما طردته من السواحل الى القلزم وفسطاط مصر وشرقيها عمان الى البحرين وكاظمة والبصرة وموسطها الحجاز وارض نجد والعروض وتسمى جزيرة العرب لان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اللسان العربي في كلها شائع وان تفاضل الخ » . وفي آخر الجزء المذكور أرجوزة عن طريق الحج من اليمن الى مكة يسردها وبتمامها يتم الكتاب ويقول : كملت الارجوزة وكمل بكمالها كتاب جزيرة العرب والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه الطاهرين وسلام » ولا تاريخ ولا شيء يشبهه . ثم يذكر المعلم داود هنريك موللير أستاذ الالسن الشرقية في دار الفنون في مدينة ويانا انه طبع هذا الكتاب وتم طبعه في سلخ شهر ايار سنة ١٨٨٤ .

وسننقل من « صفة جزيرة العرب » للهمداني بعض شواهد الى رحلتنا الحجازية المسماة « بالارتسامات اللطاف في خاطر الحاج الى أقدس مطاف » ولكننا نجد معلوماتنا عن الهمداني هذا وكتبه قاصرة . فهل يفيدنا الاخ الاستاذ احمد زكي باشا في هذا الموضوع ما نشفي به الغليل ؟ فان تفضل بشيء فهي عادته .

لوزان : شكيب ارسلان

عضو المجمع العلمي العربي

(المجمع) بعد ورود الرسالة المنشورة اعلاه جاء من صاحبها الامير الكتاب الآتي نصه :

ايضاً كتاب الاكليل

سهوت في رسالتي الماضية الى هذه المجلة عن ان انشر ما كتبه اليَّ حضرة الشريف علي بن عمر من استانبول جواباً على سؤالي اياه بشأن كتاب الاكليل للهمداني فها انا ذا الآن فاعل ان شاء الله .

قال بعد الترجمة :

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . فاما استفساركم عن كتاب الاكليل للهمداني فالذي كنت رأيته واخبرتكم به هو المجلد الثامن من الاكليل للهمداني وهذا الكتاب الآن نقلوه من مكتبة بايزيد العمومية الى مكتبة دار الفنون ونسخة أخرى من المجلد بعينه موجودة في مكتبة المرحوم علي اميري افندي في الاستانة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ونسخة أخرى في مكتبة برلين عندكم ونسخة في ايتاليا بين كتب غربفيني ولعل التي هناك نسخة تامة جامعة لسائر الاجزاء لولوع الطاليان بكتب اليمن كما يسمع ·

هذا ما عندنا من العلم بهذا الشأن فالسلام في البدء والختام انتهى ·

وفي اول مرة اذهب فيها الى برلين سأفحص عن الكتاب في خزانة كتبها كما اني في اول مرة اذهب فيها الى رومة سأسأل عن كتب غربفيني هذا لعل اليد تظفر بكتاب الاكليل كاملاً · وقد كتبت الى العلامة الشريف عبد الرحمن بن زيدان نقيب العلوية والعائلة السلطانية بمكناس أسأله هل يعلمون شيئاً عن هذا الكتاب في المغرب لان الشريف المشار اليه من العلماء المحققين وعنده خزانة كتب نادرة المثال وسنرى ما يكون من جوابه ·

لوزان : شكيب أرسلان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net